الباب الثاني
أطر التجديد

ويشتمل على :

الفصل الأول: التجديد بين المؤيدين والمعارضين.

الفصل الثاني: الثوابت والمتغيرات.

الفصل الثالث: شرح حديث:

{ **يَبْعَثُ اللهُ عَلى رَأَسِ كُلِّ مِائَةِ عَام من يجدد لها دينها** } .

الفصل الأول
التجديد بين المؤيدين والمعارضين

● يقول الدكتور «**عادل أبو زهرة**»(١): «معلوم أَنَّ الحضارة الحديثة هي حضارة التقدُّم العلمي ووسائل الاتصال، وتدفق المعلومات بكميات خيالية، هي حضارة التخصص والإنتاج الكبير، والاستهلاك الضخم للسلع، حضارة وسائل الإعلام وشدة تأثيرها، هذه الحضارة تجعل نظام الحياة تنافسيًّا يدفع الإنسان دفعًا إلى الكدح المتصل لكي يُحقق لنفسه مستوى اقتصاديًّا ملائمًا في مجتمعات ترتفع فيها أَسهم الإنسان بقدر ما يملك، وبقدر ما يستطيع زيادة دخله المادي.

● إنها حضارة إنسان لاهث مرهَق بالعمل، غير قادر على أَنْ يخلو إلى نفسه، وهذا السعي المحموم مِنْ أجل المعايش لا يترك وقتًا أَو طاقة «للدين» أو الثقافة أو الفكر، ولم يعد للإنسان المرهَق غير البحث عَنْ تسليةٍ سهلةٍ رخيصةٍ تُوفِّر عليه بذل أيّ جهد، أَدى ذلك إلى السطحية، وحالة مِنَ الفراغ الروحي وسط أَجواء مِنَ الفرديَّة والأَنانيَّة، وعدم الاكتراث بالآخرين».

● ويقول المفكِّر الأَلماني «**هارتمان**»: «إِنَّ مِنْ أَسوَأ ما في الإنسان المعاصر أَنَّه أَصبح كائنًا متبلِّدًا يعاني مِنَ الخواء النفسي، ولا شيء يُدهِشه، ولا شيء يُحرِّك شغاف قلبه، ولا شيء يستثير حياته الباطنية».

● ثم يقول **أبو زهرة**: «إِنَّ التقدُّم الأخلاقي هو مقياس الحضارة والإنسان، فما فائدة التقدم المادي في مجتمع ما لو كان الإنسان يعيش في ظله خائفًا وسلبيًّا، وتابعًا ومُتعصِّبًا، وتواكليًّا وأنانيًّا، وفَاسِدَ الذوق؟!»

---

(١) انظر: كتاب «البيئة وفلسفة الجمال».

• أردت بهذه المقدِّمة لهذا الفصل أَنْ نكون على دراية بالواقع وما يقع فيه المسلمون الآن بسبب سعيهم وتقليدهم للغرب الرأسمالي تارة (وهذه الثمرة له)، أو الشرق الاشتراكي تارة (وقد ذاقوا مرارة ثمرته مِنْ قبل).

ولنكون على بصيرة مِنَ الفريقين المؤيد والمعارض للواقع الذي يعيش فيه الناس اليوم، حتى نستطيع الاتفاق على ما يدعو إليه دعاة التجديد.

❁ ❁ ❁

• والتعليم والبحث العلمي مِنْ أَخطر العوامل التي تؤثر على المجتمع، وهما المحرك الحضاري الثاني للتنمية البشريَّة، (بعد المحرك الأول وهو الإسلام، وذلك في البلاد الإسلامية والعربية).

• والإنسان هو محور التقدم والتغيير؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ [الرعد:١١]، ولابد من البدء بإصلاح الإنسان؛ لأنه النواة الأولى والأساسية لأيِّ تطوير، أَو تجديد للدين وتحقيق السعادة والراحة النفسية للناس، وتقديم الحلول العمليَّة لما يُعانون مِنْ أزمَات ومشاكل؛ حتى لا يكون الإصلاح في وادٍ والناس في وادٍ آخر.

والإنسان هو الذي ينتفع بالحضارة، فحضارة الإنسان مقدَّمة على حضارة الآلات والجدران، وللتغيير قواعد وسُنن ربانية نوجزها فيما يلي:

◘ سنن التغيير وقواعده:

أولا: إذا تغير حال الناس مِنَ المعاصي إلى الطاعات؛ غيَّر الله حالهم مما يكرهون إلى ما يحبون، والعكس إذا تغير حال الناس مِنَ الطاعات إلى المعاصي، غيَّر الله حالهم مما يُحبون إلى ما يكرهون، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ

﴿يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١].

ومِنْ هذا يتبين ما يلي:

١- أنَّ التغيير بقدر الله وحده وإرادته، وهو مِنْ سُنَنِه الكونيَّة الثابتة، فهو سبحانه ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن]. يرفع أناسًا ويخفض آخرين.

٢- أنَّ من يرفعه الله تعالى نوعان:

الأول: يرفعه سبحانه رضاءً منه ونعمة وتكرُّمًا ورحمة، وهذا لا يكون إلَّا لأهل الإيمان والتقوى. منه قوله ﷺ: **{ يَرفعُ اللهُ بِهَذَا الكِتابِ -يعني القرآن- أقوامًا ويَخْفِضُ آخَرِين }**(١).

الثاني: يعطيه الله سبحانه في الدنيا، ويمده بمالٍ وبنين وطيبات، وَيُحْرِمُ الهداية والتوفيق، فهذا في الآخرة محروم مِنَ النعيم الدائم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [المؤمنون]. لذلك قالوا: «**النعيم في الآخرة لا يدرك بالنعيم في الدنيا، ومن لزم الراحة فاتته الراحة**».

● لذلك تختلف نيَّة وهِمَّة الكافر عن نيَّة وهمة المسلم في التغيير، فالأول نيّته

---

(١) أخرجه مسلم: ك: «صلاة المسافرين وقصرها»، ب: «فضل مَنْ يقوم بالقرآن يعلمه»، ح: (٨١٧) من حديث عامر بن واثلة رضي الله عنه.

وهمّته مِنْ أجل الدنيا والتمتع فيها والبحث عن سبل الراحة والتنعم، بينما الثاني نيّته وهمّته مِنْ أجل تحقيق العبوديَّة لله تعالىٰ في الأرض، والقيام بمهامها علىٰ الأرض، وتحمله للأمانة التي أَبَت وَأَشْفَقَت منها السموات والأرض والجبال، وذلك مِنْ أجل الوصول إلىٰ هيمنة الدين وعلوِّه وظهوره.

● لذلك خصَّ الله تعالىٰ **النوع الأول**: بالفزع، والتعاسة، والخذلان، والتشبث بالدنيا ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة:٩٦]، والفلاح فيها والرغد والترف، والقلق والخوف، وعدم الإيمان بالقدر والجزاء في الآخرة.

● وخصَّ **النوع الثاني**: بالأمن بكل أنواعه وأهمها الأمن النفسي، والسعادة النفسية، والتوفيق، والاشتياق إلىٰ الآخرة، والزهد في الدنيا، وراحة البال والرِّضا والطمأنينة في الرزق والأجل، والإيمان بالقدر، واليقين بالحساب والجزاء في الآخرة.

وجعل بينهما صفة مشركة وهي الكدّ في الدنيا والكبد فيها تبعًا لسُنَّة التداول.

❁ ❁ ❁

ثانيًا: إنَّ صلاح هذه الأمَّة لا ينصلح ولا يستقيم إلَّا بما انصلح به أمر أولها واستقام علىٰ هدي الكتاب والسُّنَّة، وفهم مراد الله تعالىٰ منهما وأي تغيير أو إصلاح بغير هدىٰ الله تشتُّتٌ وضياع لها، وتشرذم وتبعية.

فحدٌّ واحد مِنْ حدود الله تعالىٰ يُقام في الأرض خير مِنَ أن يمطر أهلها أربعين خريفًا، وإنَّ المعاصي والسيِّئات والمخالفات والوقوع في الحرام سببٌ في هلاكِ الأمم ودمارها وتحقُّق سُنَّة الهلاك العام. قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه:١٢٤]، فالضيق في العيش والكرب والضنك ليس له علَّة مع الأمَّة الإسلاميَّة سوىٰ الإعراض عن ذكر الله تعالىٰ مِنْ إقامة دينه، والعمل بكتابه،

وإقامة الصلاة، ومراقبة الله تعالى، فعدوُّ الإصلاح الأول المعاصي والمحرَّمات، كما أن الفتن تقع بمخالفة أمر النبي ﷺ.

ثالثا: مِنْ سُنن التغيير وقواعده: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإيمان بالله تعالى، والتناصح بين المسلمين بعضهم لبعض، حكامًا ومحكومين.

- فبدون الأخذ على أيدي المفسدين في الأرض، المحادين لله ولرسوله ولدينه، لا يكون هناك إصلاح ولا تغيير.
- وبدون اللجوء لله تعالى والاستعانة به والاستهداء بتعاليمه، والالتزام بها لا يكون هناك توفيق في الإصلاح والتغيير.
- وبدون تغيير المنكر باليد واللسان والقلب، وأنْ يكون لكل فرد دور ومكانة ومهمة في ذلك لن يكون هناك توفير جوٍّ آمن للإصلاح والتغيير.
- وبدون تغيير في الفكر وأنماط العادات والتقاليد والسلوكيات المخالفة للكتابِ والسُّنَّة، كالسلبية، والكسل، والغش في العمل والتقاعس فيه (بالفهلوة والزوغان والهروب)، وعدم الأخذ بالأسباب (التواكل)، والأماني الكاذبة، والأوهام والأهواء، والتشبث بالرأي، وإضاعة الوقت في الكلام، والجدال أكثر مِنَ العمل والجد لن يكون هناك إصلاح وتغيير.

❁ ❁ ❁

رابعًا: مِنْ سُنن التغيير وقواعده، أنَّ التغيير ينبُع مِنَ الداخلِ، مِنْ داخل النفس، وبما يُلائم قِيمَ المجتمع؛ فإذا استوردناه وقلَّدنا غيرنا في كل شيء دون تمييز بين النافع والضارِّ، أصبحنا نسخة مكرَّرة منهم، وبذلك نفقِد هُويَّتنا وقيمنا، وهذا هو المسخ، والتغيير إلى الأسوأ أو الأرذل.

• يمكننا الاستفادة مِنْ تجارب الآخرين، والمتميزين، وبلورتها وتصفيتها وتطويرها بما يلائم مصالحنا واحتياجاتنا وأهدافنا الواضحة، وبما ينصلح به ديننا ودنيانا.

والتغيير ينبع مِنَ الداخل؛ فبوابة التغيير تُفتَح مِنَ الداخل، حيث ينبع مِنْ خلال الفكر السليم، المتَّزِن المتميِّز، والذي يأخذ بأسباب العلم الذي يُصاحبه كَرَم الله تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣﴾ [العلق]، واتباع المنهج العلمي التحليلي عند الأخذ بالمعارف الدنيوية، لذلك كانت خطط المستعمر الجديد تعتمد على الفكر أكثر مِنْ اعتمادها على العتاد والسلاح، إنْ أردت أنْ تملك شعبًا وتستعمره فاملك فكره.

❁ ❁ ❁

خامسًا: مِنْ سُنَن التغيير وقواعده تحويل الأماني إلى أهداف ومشاريع وخطط وخطوات نحو النجاح، فإذا صادفتنا عقبات لا نيأس، ولا نرجع إلى الوراء، بل نسعى لإيجاد بدائل وطرق أخرى أكثر أمانًا، للوصول إلى تحقيق تلك الأهداف، وإقامة هذه المشاريع التنموية.

ويجب أنْ تكون المبادئ ثابتة، ولكن لا مانع أنْ تكون الحركة إليها متغيرة، وكما ورد: «**إن قومًا غرَّتهم الأماني قالوا: إنا نحسن الظنّ بالله وكذّبوا والله، لو أحسنوا الظنّ لأحسنوا العمل، خرجوا مِنَ الدنيا ولا حسنة لهم**».

❁ ❁ ❁

سادسًا: مِنْ سُنن التغيير وقواعده أن للتغيير ثمنًا مُعَجَّلًا، وعدم التغيير ثمنه أطول وتكاليفه باهظة، وعواقبه وخيمة، والتغييرات الكبيرة يلزمها تضحيات مماثلة لها.

● التغيير يلزمه كفاح وجهاد بالمال والنفس، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت].

وهذه سُنَّةٌ عامة، لا يصل المرء إلىٰ حقوقه المسلوبة إِلَّا إذا أعد نفسه بالقوة والثبات والإصرار.

● ألا ترىٰ قوة وإصرار أتباع الرسل، وصبرهم علىٰ الأذىٰ والاضطهاد والهجرة والجهاد، حتىٰ نالوا الإمامة والقيادة والسيادة والعزَّة والكرامة، وتذكَّر دائمًا أنَّ أتباع الرُّسُل، وأصحاب الأهداف لا يصلون إِلَّا بالأخذ بالعزائم وعدم الترخص.

● ألا ترىٰ ذلك في العصر الحديث. فكم دَفَعَتْ وتحمَّلت الدول العربية وغيرها مِنْ أجل الاستقرار وطرد المستعمر؟

● وهذه السُّنَّة تتحقق أيضًا حتىٰ مع الكافرين، ألا ترىٰ ما تحمله «**نيلسون مانديلا**» رئيس جمهورية جنوب أفريقيا، مِنْ أجل المطالبة بحقوق السود حتىٰ وصل إلىٰ منصب حاكم البلاد، وما تحمله «**ليش فاليسًا**» في بولندا مِنْ أجل الوصول إلىٰ حقوق العمال المسلوبة حتىٰ وصل إلىٰ حكم البلاد.

● إنَّ بعض أفراد الشعوب النامية والعالم الثالث يتمنون التغيير والإصلاح وهم كُسالىٰ ليس لديهم أي استعداد لثمن التغيير والتضحية مِنْ أجله، هؤلاء سوف تستمر معهم حياة الذل والمهانة والاستغلال والاستعباد، وسوف يذوقون ويكتوون بنار غلاء الأسعار، وكثرة الأعباء، وسوف يستسلمون إلىٰ خدمات أساسية سيئة وغالية ومجهدة ومكلفة، وضرائب باهظة تجعلهم يكِدُّون ليل نهار كأنهم كما يقول المثل المصري الشهير «**ثور في ساقية**» يدور معها وهو معصوب العينين.

❁ ❁ ❁

سابعًا: مِنْ سُنن التغيير وقواعده أنَّ التغيير عملية سلوكية يرتبط بفهم النفسيات ودراستها، ومراعاة البيئات وأصولها، وذلك يحتاج إلى تدريب ومِران، ومعرفة المدخل إلى نفوس وطبائع البشر، والوقت المناسب للقول والفعل المناسب.

يقول الشيخ سيد سابق رحمه الله: «**ليس كلُّ حقٍّ يقال، وليس كلُّ ما يُقال حضر أهله، وليس كل مَنْ حضر أهله حضر أوانه**».

❁ ❁ ❁

▫ ومِنَ القواعد الشرعيَّة:

- حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ. أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ؟.
- حدِّثوا الناس على قدر إيمانهم.
- لا تُـخْبِر الناسَ فيتَّكِلوا.
- لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُو عَهْدٍ بِالجَاهِلِيَّةِ، لَهَدَمْتُ الكَعْبَةَ، وَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ، ولَبَنَيْتُها عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ.
- إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ.
- لَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا.
- إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ.
- مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلا زَانَهُ وَلا نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلا شانه.
- "الحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ" صفتان يحبهما اللهُ ورسولُه.
- المُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ.

❁ ❁ ❁

ثامنا: مِنْ سُنن التغيير وقواعده أنَّ التغيير يحتاج إلى المؤمن الطموح، وهو أسرع في قبول التغيير مِنْ غيره، التغيير يحتاج إلى المؤمن الغيور، وهو أنجح في

قبول التغيير مِنْ غيره.

• التغيير يحتاج إلى المؤمن الذي تخلَّص مِنَ الهزيمة النفسية وعقدة الخواجة.

• التغيير يحتاج إلى مَنْ تحرَّر مِنَ التبعية والتقليد، واعتزَّ بالحي الذي لا يموت (اعتزَّ بالحي القيوم يَدُمْ عزُّك، فإنْ اعتززت بغيره فإنْ عزَّك إلى زوال).

• التغيير يحتاج إلى المحافظة على العُلُوِّ بالإيمان: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران].

• التغيير يحتاج إلى المحافظة على الخيريَّة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾﴾ [البينة].

❁ ❁ ❁

تاسعًا: مِنْ سُنن التغيير وقواعده أنَّ كل تغيير سوف يواجه بمقاومة مِنْ أصحاب المصالح: الكُسالى، والمثبِّطين والمنافقين، لا بُدَّ مِنَ الاحتراز لذلك، فالتغيير سوف يُخرِجُك من دائرة الراحة والأمان، ولكن يعود عليك بالنفع والعزَّة والبركة والإيمان، لذلك فهو يحتاج إلى همَّة عالية، وثبات على الحقِّ، وقوة تحميه وتحافظ عليه، وأنْ يكون مرتبطًا بالإخلاص لله تعالى، خاليًا مِنَ المخالفات، وذلك أهم الأوَّليَّات، وأفضل المهمَّات، فنحن أمَّة الدعوة والهداية، وأي تغيير بعيدًا عن ذلك فهو سراب يؤدي إلى سراب.

❁ ❁ ❁

عاشرًا: التغيير الناجح هو الذي يحافظ على سلامة العقيدة الخالية مِنَ الشركيات والخرافات والخزَعبلات، والتحاكم إلى غير الله تعالى.

قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ

﴿ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غافر].

● ويحافظ على سلامة الهُوِيَّة الإسلامية ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨]. ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة]، ويحافظ على سلامة الأخلاق الإسلامية، وخاصة خُلق الولاء والبراء، الحب في الله والبغض فيه، خُلق العفو عند المقدرة، خُلق الوفاء وأداء الأمانات وحفظ الحقوق، خُلق تقبُّل النصح مِنَ الآخرين، والأخوَّة في الله، خُلق صلة الأرحام والوالدين والرحمة بالضعفاء والمساكين، ويحافظ على المعاملات الإسلامية الخالية مِنَ الرِّبا، والغِشِّ، والاحتكار، والتطفيف في الميزان، والتجارة في المحرَّمات.

● ويحافظ على شعائر الله من العبادات، والحث على إقامتها على أتمِّ حال، فذلك هو الطريق الأسلم والأقرب لبناء إنسان صالح للتغيير النافع المفيد، والذي يحفظنا مِنْ غضب الله وعقابه ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

● وأي تغيير يتم بعيدًا عن منهج الإصلاح في الإسلام فلا يسمَّى تغييرًا، وإنما يُسمَّى تبعية، وإن شئت فسمِّه تقليدًا، وإن شئت قُلت خروج من الالتزام إلى الحرية والفوضى والإباحية، فالتغيير لا يستورد بأنماط غربية، ولا يكون بالتحرر من الدين وضوابطه، إنما يتميز التغيير في الإسلام عن غيره، وصدق قول الصحابيُّ الجليل: لقد أعزَّنا الله بالإسلام فإذا ابتغينا العزَّة في غيره أذلّنا الله، وهذا ما يشهد به التاريخ والواقع.

❁ ❁ ❁

والناس على قسمين في قضية تجديد الدين:

القسم الأول: يؤيد تجديد الدين، ويرىٰ أننا في أشدِّ الحاجة إلىٰ ذلك، ويتعلَّل باختلاف العصر والبيئة وطبيعة الحياة ورفاهية الإنسان، وتقارب المجتمعات، والدخول في عصر العولمة وتحرير التجارة .. إلىٰ غير ذلك مِن المتأثرين بغلبة أهل الكفر، وتشبه المغلوب بالغالب دائمًا.

● ويرىٰ هذا الفريق أنْ يكون ذلك التجديد عَنْ طريق تأْوِيل النصوص مِنَ القرآن والسُّنَّة حسب فهمهم تَأوِيلًا عصريًّا يتناسب مع حياة الإنسان المعاصر، ولا يثير عداوة بين المسلمين واليهود والنصارىٰ، علمًا بأنَّ عداوتهم لنا متأصلة فيهم، والقرآن والسُّنَّة والتاريخ والواقع خير شاهد علىٰ ذلك.

(**لاحظ**: يريدون أنْ تتغير معاني القرآن والسُّنَّة لتناسب حياة الإنسان، والصحيح والمعقول أنْ تتغير حياة الإنسان لتتلائم وتتماشىٰ مع معاني القرآن والسُّنَّة، والتي هي مراد الله ﷻ مِنْ خلقه، والغاية مِنْ إرسال الرُّسُل وإنزال الكتب).

● وهذا التفسير الجديد للقرآن والسُّنَّة هو أعظم أماني أهل الكفر قاطبة علىٰ ظهر الأرض حتىٰ يفقد القرآن والسُّنَّة دورهما في بقاء الإسلام والمسلمين، وبالتالي نفقد التأثير العظيم والمؤثر والمحرِّك الفعال للأُمة الإسلامية، ومصدر قوَّتها وعزَّتها واحترامها بين الأمم.

● وأقوال زعماء أهل الضَّلال ومفكِّريهم وقادتهم في ذلك كثيرة ومشهورة كقول أحدهم: «لن نتمكَّن مِنَ البقاء في بلاد المسلمين إِلَّا إذا أُطفِئت الشُّموع». (ويقصد بالشموع: كتاتيب تحفيظ القرآن الكريم)، وقول الآخر: « لن تقوم لكم قائمة إِلَّا إذا هُمِّشَ دور المسجد، وتمَّ عزل القرآن عن حياة الناس ».

● قوم أفلسوا وأَعلنوا عجزهم وضعفهم، واعترفوا بالحقيقة الساطعة: أنَّه لن يستطيع أَحدٌ أو قوّة على ظهر الأَرض أنْ تأتي بمثل هذا القرآن، وقد خاضوا تجربتهم المريرة والقاسية عليهم عندما أنفقوا المليارات في طباعة الكتاب الذي سموه «**الفرقان المبين**» ليكون بديلًا للقرآن الكريم «المصحف الشريف». وصدق فيهم قول ذي العزّة والجلال والجمال والكمال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال].

فلما خابوا وخسروا قالوا: لا مفرَّ إذًا مِنْ بقاء القرآن الكريم كما هو، وأمامنا مجالٌ فسيحٌ وإمكانيات ضخمة من المال ووسائل الإعلام والمأْجورين في أَنْ نلعب بالتأويل، ونخاطب الناس أَنَّ هذا القرآن نَزَلَ في بيئة صحراويَّة، وخاطب عقولًا بأسلوب يتناسب معهم، أمَّا الآن والعقول قد تطورت والحياة قد تغيَّرت. فلا بُدَّ مِنْ إيجاد معانٍ ومفاهيم جديدة تناسب ذلك العصر، وقد خابوا وخسروا في ذلك أيضًا؛ لأنَّ الله تعالى تكفل بحفظ كتابه فقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

مِنْ ذلك الحفظ:

١- حفظ نصوص القرآن والسُّنَّة من الضياع.

٢- حفظ معانيها وتفسيرها.

٣- قيام طائفة مِنَ الناس بحفظها وتفهمها والعمل بها والجهاد مِنْ أجلها.

● فلما خابوا وفشلوا لجأوا إلى تشويه سيرة أصحاب النَّبيِّ ﷺ ليطعنوا في أسانيد الأخبار والأحاديث التي تثبت عن نبينا ﷺ، والذي تميَّزنا به عنهم.

وبفضل الله تعالىٰ خابوا وخسروا في ذلك أيضًا؛ لأنَّ الله تعالىٰ جعل سبيل أصحاب النَّبيِّ ﷺ هو سبيل المؤمنين، وجعل اتباعهم فرض عين علىٰ كل مسلم، ولا بُدَّ في ذلك مِنْ حفظ أقوالهم وسيرتهم.

❁ ❁ ❁

ولكن نسيَ هؤلاء عدة أمور:

١- أنه لا قيمة لحفظ القرآن الكريم إذا لم يحفظ اللهُ ﷻ معانيه ومراده الذي أراد توصيله للناس جميعًا.

٢- أَنَّه لا قيمة لكون القرآن الكريم خاتم الكتب، ونبي الإسلام خاتم الأنبياء إذا حدث ذلك التبديل والتغيير في مراد الله ورسوله.

٣- أَنَّ الإسلام هو الدين القيِّم المتميِّز بالأسانيد الصحيحة المتصلة، وبالمتون الصحيحة الخالية من العلل، ولذا استطاع طيلة ما يزيد علىٰ أربعة عشر قرنًا المحافظة علىٰ ثوابته ومعانيه وآثاره، وهو قادرٌ بفضل الله تعالىٰ علىٰ البقاء، ولقد بُذِلت محاولات أكثر مما فعلوه؛ فذهب الباطل وهلك وانحدر، وبقي الإسلام وسيبقىٰ شامخًا مُستعليًا إلىٰ يوم الدين؛ ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

٤- مِنْ سرِّ بقاءِ الإسلام سهولة حفظه في الصدور (قرآن وسُنَّة)، يتلقَّاه الناس من الأفواه جيلًا بعد جيل، فهو محفوظ في الصدور، كما هو محفوظ في الكتب.

٥- أَنَّ بقاء أُمَّة الإسلام مرتبطٌ ببقاءِ هذا الدين سليمًا مِنَ التأويل والتحريف.

❁ ❁ ❁

● ولقد جَمَعتُ أَكثرَ مِنْ مائة ميزة تميز بها هذا الدين العظيم عَنْ غيره في كتاب:

«**الطريق إلى صحبة النَّبي ﷺ: اعْرَف نبيَّك والحق به**»، وفي تهذيبي لكتاب: «**الإسلام والرسول في نظر مُنصفي الشرق والغرب**» للشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي.

وأذكر بعضها على سبيل التذكرة:

● امتاز الإسلام بعدم الفصل بين: العلم والدين، والدين والعقل، والجسد والروح، والدنيا والآخرة.

● امتاز الإسلام ببقاء دلائل وآثار باقية في حين لا تجد ذلك في أيِّ دين آخر، (القرآن الكريم، والكعبة المُشرفة، وزمزم والصفا والمروة، وعرفات، والمشعر الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، والعبادات: كالصلاة والصيام والحج والزكاة ما زالت كما هي إلى يوم الناس)، في حين لا تجد أيَّ آثار باقية لأيِّ ديانة أخرى.

لذلك يبحث اليهود عَنْ هيكل سليمان الوهمي بكل السبل والإمكانيات.

● وامتاز الإسلام بالسند المتصل، والتي هي مِنْ أسباب حفظ القرآن والسُّنَّة، فلا يستطيع كائنٌ مَنْ كان أن ينسب أو يضيف إلى القرآن أو السُّنَّة أيَّ كلمة أو عبارة؛ لأنه مطالب أَنْ يذكر عَنْ مَنْ أَخذها، وسلسلة الرواة لها، وأنْ لا تقل في بلاغتها وفصاحتها عما جاء في القرآن والسُّنَّة.

● وامتاز الإسلام بجعل أُمور الدنيا في كل عصر وبيئة، وفي كل زمان ومكان بيد أَهلها ينظمونها ويعملون ويخططون لها كيفما شاءوا، ما لم يكن للشريعة في هذه الأمور نص أو حكم، قال ﷺ: **{أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ}**(١)، وحدَّدَ لهم المعالم

---

(١) أخرجه مسلم: ك: «الفضائل»، ب: «وجوب امتثال ما قاله شرعًا»، ح: «٢٣٦٣» مِنْ حديث عائشة وثابت وأنس رضي الله عنهم.

والمناهج ووضع لهم الأسس لكي تبقى هذه الدنيا صافية من الكدر والنكد، وربط بها عبادات ومعاملات وأَخلاق في أُطُر تجعلهم أَسعد الناس وأَكثرهم انتفاعًا بهذه الدنيا، ومعرفةً لحقيقتها.

● وامتاز الإسلام بفضله على الإنسانية في الرقي بها، والمحافظة على الدين، والعقل والنسل والمال والجسد بما لا يوجد في أي واقع غير إسلامي اليوم.

● وامتاز الإسلام بشموله وكماله وواقعيته ومثاليته واحتوائه على الحكمة والرحمة والعظمة والهيمنه في شرائعه، وناسب كل الناس مع مختلف توجهاتهم وميولهم وتعليمهم وثقافاتهم.

● وامتاز الإسلامُ بأَنَّ جعل الأَرض كلها مسجدًا وطهورًا؛ فهو ليس محصورًا في بِيَعٍ أَو صلوات أو معابد أو كنائس أو مساجد.

● وامتاز الإسلامُ بسيرة كاملة لنبيه ﷺ مِنَ الميلادِ إلى الممات، مسجِّلة كلَّ قولٍ مِنْ أقوَاله، وكلَّ حركة مِنْ حركاته، مما لم يتوفر ذلك في سيرة أَيِّ نبيٍّ آخر.

● وامتاز الإسلام بعالميته وحضارته وفضله على العالم كله وأُوربا خاصة.

● وامتاز الإسلام بأنَّ أَحكامه وعباداته ومعاملاته سهلة التطبيق، لا تُعيق عاملًا عَنْ عمله، ولا عالمًا عن علمه، فلا رهبانيَّة فيه ولا تبتل، انسجام عجيب مع الواقع والبيئات.

ولا نملك إِلَّا أنْ نقول: إِنَّه حقًّا تنزيلٌ مِنْ حَكيمٍ، خَبيرٍ، حَميدٍ، عَظيمٍ.

❁ ❁ ❁

● **مِنْ ذلك يتضح لنا:** أَنَّ تجديد الدين مِنْ خلال عقول هؤلاء وأفكارهم مرفوض؛ لأن هذه العقول لا يُعترف بها بأَنَّها تحب الإسلام وأَهله، ولا نشهد لها

بصلاح أو علمٍ راجح أَو فكرٍ مستقيمٍ أَو رأي ثاقبٍ، إِنَّما الكثير منهم أَرباب مصالح ومنافع وشهوات، ومشهور عنهم الفساد في أَغلب المجالات، وهم كالذين إِذا دخلوا قريةً أَفسدوها وجعلوا أَعزَّةَ أَهلها أَذلَّة، وكثير منهم عملاء وخوَنَة ومأجورون بالأموال والشهوات.

● إنَّ قلوبهم وفكرهم وعقولهم كقلوب وأَفكار وعقول الأَعاجم، وفي الغالب لا يعرفون مِنَ الإِسلام سوىٰ أَسماء تسمَّوا بها، وإسلامهم خليط مِنٌ هنا وهناك، فمثَّلوا صورة مشوَّهة للإسلام لا حقيقته الناصعة البياض، كالفرق بين الأسد وصورته، وكمن أقرّ بالنار ولم يحذر من لهيبها وحريقها.

❁ ❁ ❁

القسم الثاني: يرى أنَّ الدِّين قائم بذاته، لا يمكن تجديده علىٰ حسب منطوق ومفهوم الفريق الأول؛ وذلك لسبب هام ورئيسي بالإضافة إلىٰ الأسباب السابق ذكرها، وهو أنَّ هذا الدين أَنزله وشرَّعه الخبير العليم، الذي خلق الإنسان وشرَّع له ما يُناسبه، البرَّ الرحيم، الإله الحكيم الحكم العدل، العليم بصنعته، البديع فيها أَحكم الحاكمين، وهو الإله، والملك، والرب، والحكم والخالق، والرازق، والقوي، والمهيمن إلىٰ سائر صفاته وأسمائه العليا، فكيف يتسنَّىٰ لخلق مِنٌ مخلوقاته مِنٌ بين آلاف العوالم أن يغيِّر أو يجدِّد شرع رَبِّ العالمين؛ أو يحكم علىٰ كلام ربِّه وخالقه؟!

في حين أَنَّ هذا العقل لا يدري ما يُصلحه وما ينفعه مثل الله ﷻ؛ قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢٣٢﴾ [البقرة]، وقال ﷻ: ﴿قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٤٠]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٦].

❁ ❁ ❁

● ومِنْ حكمة إرسال الرُّسُل وإنزال الكتب: أَنَّ الإنسان بنفسه لا يدرك مصلحته، وأَنَّه بدون قائد يُنير له الطريق يَضِلُّ السير، وبدون مُعلم له يعيش في ظلمات الجهل، وبدون قوانين تنظم حياته تحدث الفوضى؛ فأرسل اللهُ سبحانه الرُّسُلَ له معلمين وهادين، وحكم حكمه الأَزَلي وسُنَّته الثابته بعد أَنْ أَهبطه إلى الأَرض عندما أدخل عقله في مصلحةٍ يراها هو مناسبة له مخالفًا بذلك ما أمره الله به مِنْ عَدم الأكل مِنَ الشجرة لصالحه، فأَكل آدم عليه السلام مِنَ الشجرة بعد أَنْ زَيَّن له الشيطان تأويل الأمر بعدم الأكل منها، فأباح له المخالفة طمعًا في خلود وراحة أبديَّة.

● وهذا حال كل مَنْ خالف أمر ربه تعالى، وتعلّل بعللٍ مبرِّرًا هذه المخالفة أو مفضِّلًا عليها غيرَها، نَسِيَ آدم عليه السلام تعاليم الله وَحَرِصَ على الخلد والملك الذي لا يبلى، وكانت النتيجة لَمَّا أكلَ هو وزوجه مِنَ الشجرة بدت سوآتهما، فأُهبطا إلى الأرض، وأصدر الله تعالى أمره الثاني محذِّرًا ومنبِّهًا على ما حدث مِنْ أخطاء مع الأمر الأول. قال تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة].

● ثم تتكرَّر التجربة في كل زمان ومكان، ويختار أُناس ما اختاره إبليس - نعوذ بالله منه، ولعنة الله عليه- لهم، وتتكرَّر التجربة بالتأويل أو التجديد ليقع البشر مرة أخرى في الضلال والشقاء.

❁ ❁ ❁

وقفة

نَمِّ قدرتك على اتخاذ القرار

- تَعلَّم ما هي أنجح الطرق للاستفادة مِنَ الوقت.
- فَكِّر في القرار الواضح وابتعد عن القرارات المؤذية والعدوانية والغامضة.
- توسّع في الخيارات قبل القرارات، وحدّد البدائل المناسبة، واستبعد البدائل المخالفة وغير المناسبة.
- معك سلاحان في غاية الأهمية هما: (الاستخارة، والاستشارة).

«فما خاب من استخار، وما ندم منْ استشار».

وعليك بالتشاور مع أهل الدين الأمناء، وأهل الخبرة في المجال، فكر مع مَنْ تتصل؟

- نَمِّ في نفسك القدرة على إقناع الآخرين بقبول قرارك.
- تعلَّم فنون الحوار ومهارات الاتصال بالآخرين.
- تابع تقدم الأفراد، وراقب أداءهم، واهتم بتطوير الأفراد مع تطوير العمل.
- ابنِ جدار الثقة، ولا تنس الجولات الميدانية لمعرفة آثار القرار ومدى نجاحه وتأثيره.

❁ ❁ ❁